النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٦ / ١٩٨٨

الأحد ٨ شباط

أحد الفريسي والعشار

ت\كار القديس المعظم في الشهداء

ثاودوروس قائد الجيش

والقديس زخريا النبي

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

الـــرســـالـــة (٢ تيموثاوس ٣ : ١٠ – ١٥)

الإنـــجـــيـــل (لـــوقـــا ١٨ : ١٠ – ١٤)

+ أحد الفّريسيّ والعشّار

لقد سُمي هذا الأحد أحد الفّريسيّ والعشّار نسبة الى المقطع الإنجيلي الذي يُقرأ في هذا اليوم (لوقا ١٨: ١–١٤) . ومع هذا الأحد تبدأ الكنيسة، كأم راعية، بتهيئة أبنائها للدخول في الصوم الكبير المقدس فتبث فيهم الروحانية التي يجب أن يحياها المؤمن خلال هـــذه الفـــترة المباركة لكي يأتي صيامه بالنتائج المرجّوة.

العشّار، أي جابي الضرائب، يُضع أمامنا اليوم نموذجاً للتواضع على عكس الفرّيسيّ الذي هو نموذج التكبّر. فالفّريسي، أي الإنسان المتديّن العاكف على دراسة الكتاب المقـــدس، يُقدَّم لنا مكتفياً بذاته، معتقداً انه أتم كل ما يطلبه منه الدين: الصوم مرتيـــن فـــي الأســـبوع والصلاة وتعشير الأموال، لكنه في المقابل يحتقر العشّار الذي يعتبره عامـــة الشعـــب غـــير محبوب بسبب مهنته كجابٍ للضرائب وتعاونه مع السلطات الرومانية الوثنيـــة. لكـــن هـــذا

العشّار واعٍ تماماً عيوبه وضعافته. انه عالم انه لا يحق له التفاخر امام الله لذا يسأل فقط: ''ارحمني يا الله انا الخاطئ''، فيجيب يسوع ان هذا ذهب الى منزله مبرّراً وليس الفرّيسي، لأن العشّار حصل على نعمة التواضع وهو بالتالي نموذجاً يحتذى من المسيحيين.

هذا ما تعبِّر عنه الصلوات التي نرتلها في هذا اليوم:

+ لا نصلِيَنَّ يا إخوة فرّيسياً لأن من يرفع نفسه يتضع، بل فلنتذلّل امام الله متضعين، ولنهتف بواسطة الصيام بعون العشّار قائلين: اللهم أغفر لنا نحن الخطأة (من صلاة الغروب).

+ يا رب انك شجبت الفرّيسي لما برّر نفسه متفاخراً بأعماله، وبرّرت العشّار لما تقدّم بتذلّل مستمداً الغفران بتنهدات، لأنك لا تدني الأفكار المتعظمة، ولا تقصي القلوب المنسحقة، فلذلك نحن أيضاً نجثو لديك بتواضع، يا من تألم لأجانا، فامنحنا الغفران والرحمة العظمى (من صلاة السحر).

التواضع هو الفضيلة المسيحية الأولى، وغالباً ما يُساء فهمها فيعرِّفُها البعض بـ ''انتقاص من تقدير الذات'' (Self-depreciation) . على العكس تماماً، التواضع هو تقييم الذات على اساس المعرفة الحقيقية لها. الإنسان المتواضع يعترف اننا بشر مخلوقون، لكن بالرغم من اننا مخلوقون على صورة الله ومثاله، فإن هذه الصورة تنحجب وراء التكبّر المعشش في نفوسنا والذي يدفعنا الى الإستقلال عن الله. المتواضع يشرّع ابواب ذاته لتقبّل نعمة المسيح الذي مات لكي يستعيد لنا الصورة التي شوّهها التكبّر.

إذ كان العشّار صورة التواضع، فإن المسيح هو النموذج الحقيقي في هذا المجال حسب التقليد المسيحي: ''(المسيح) الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلاً لله، لكنه اخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله ايضاً وأعطاه إسماً فوق كل إسم'' (فيليبي ٢: ٦ –٩). وما تواضع المسيح إلا انعكاس لتواضع الله نفسه، هذا التواضع الظاهر في الخلق: أراد الله ان يخلق الإنسان ليكون في شركة محبة معه. لكن هذا رفض محبة الله ساعياً ان يجعل من نفسه إلهاً فسقط وكان سقوطه عظيماً. وقد ظهر تواضع الله ثانية عبر تجسّد المسيح، فصار كأحد مخلوقاته، وعلى الصليب فاضت محبته إذ اسلم ذاته لأجل العالم لكي يشفي قلب البشر المتكبّر، وأعطانا امكانية المشاركة في حياته. التواضع والمحبة صفتان متلازمتان في الله، وما قاله الرسول بولس عن المحبة في رسالته الأولى الى اهل كورنثوس (١٣ : ٤ –٨) يمكن ان يقال عن التواضع ايضاً.

في بداية فترة التهيئة للصوم تعلّمنا الكنيسة في احد الفرّيسي والعشّار ان التواضع هو الشرط الأساسي للنمو في الحياة المسيحية. انه افضل حماية لمنا من التجارب، وهو التربة التي تتجذر فيها كل الفضائل الأخرى وتنمو. نقتني التواضع بمقدار ما نتأمل في تواضع الله في المسيح، وبمقدار ما نشتهي ان نماثله.

+ التواضع

+ ان الذي عرف الله بالروح القدس تعلّم منه التواضع وصار مشابهاً لسيده ومعلّمه ابن الله.

+ ان النفس التي لم تختبر عذوبة الروح القدس تجد فرحها في الكبرياء وفي مجد هذا العالم، في الغنى او القوة او السلطة. لكن الرب يبقى هو المبتغى الوحيد لتلك النفس التي عرفته بالروح القدس، اما مجد هذا العالم فلا يعنيها بشيء.

+ هناك رتب متعددة في التواضع، احداها الطاعة وتقديم النفس في كل شيء والأخرى هي التوبة عن الخطايا واعتبار النفس حقيرة امام الله. أما الوداعة، تلك التي عرفها الرب بالروح القدس، فمعرفتها وطعمها مختلف.

+ يخاف المتكبّر التأنيب لكن المتواضع لا ينزعج ابداً، اما الذي بلغ الى تواضع المسيح فيتوق بإستمرار الى ان يبكّت ذاته. يقبل بفرح الإساءات ويحزن عندما يعظمونه، لكن هذا ليس الا بدء التواضع لان النفس متى عرفت، بالروح القدس، كم السيد متواضع وعذب، تحسب ذاتها أسوأ الكل وتفرح بان ترى الناس، بالروح القدس، مضيئين ومشابهين للمسيح.

القديس سلوان الآثوسي

+ الكبرياء

+ الكبرياء جحود لله وصنع الشياطين وازدراء للناس وأم للادانة وابنة للمدائح وعلامة للعقم، وتنحٍ عن معونة الله ونذيرة بضلال العقل ونصيرة للسقطات وعلة للصراع وينبوع للغضب وباب للرياء وعون للأبالسة وصائنة للخطايا وولية لقساوة القلب وجهل للحنو ومحاسب مر وقاضٍ ظالم وخصم لله وأصل التجذيف.

+ أول الكبرياء اكتمال العجب، وانتصافها ازدراء للقريب وتبجح وقح بالاتعاب وثناء على الذات مقيم في القلب، ومقت للمذمة. اما كمالها فتغرّب عن معونة الله واعتداد بالذات وتشبّه بالشياطين.

+ فلنسمع جميعاً نحن الراغبين في تحاشي هذه الهوة: كثيراً ما تستمد الكبرياء غذاءها من الشكر، لأنها لا توحي الينا للوهلة الاولى ان نجحد الله بوقاحة. لقد رأيت من يشكر الله بلسانه وهو متعظم بفكره، ويشهد على ذلك جلياً قول الفّريسي الجاهل: ''اشكرك يا الله...'' (لو ١٨: ١١).

+ حيثما حلّت سقطة فهناك سبقت وسكنت الكبرياء، لأن حضور هذه يؤذن بحلول تلك.

+ سمعت انساناً جليلاً يقول: افترض ان اهواء الهوان اثنا عشر، فإن ارتحنا لواحد منها، واقصد به الغرور، فسوف يملأ هذا مكان الأحد عشر هوى الباقية.

+ ان الرب يقاوم المتكبرين فمن يستطيع ان يرحمهم بعد؟ كل متشامخ القلب نجس عند الرب، فمن يستطيع ان يطهر مثل هذا؟

+ السقوط يؤدب المتكبّرين، والشيطان بشوكته يلطمهم. اما ضلالهم ففي تخلّي الله عنهم. وكثيراً ما شفى اناساً في الحالين الاولين. اما الحالة الأخيرة فلا شفاء لها عند الناس.

+ من يرفض التوبيخ يظهر تكبّره، ومن يرضخ له يتحرّر من هذا الأسر.

+ التكبّر اتلاف لمكاسبنا ولاتعابنا. ''صرخوا فلم يكن من منقذ''. لا شك انهم صرخوا بتكبر. ''صرخوا الى الرب فما استجاب لهم'' (مز ١٧: ٤٢). ولا شك انهم لم يقطعوا علة الشرور التي التمسوا النجاة منها.

+ لا تتشامخ وانت من الارض لان كثيرين قد هبطوا من السماء وهم قديسون ولا هيوليون.

+ لو صبرنا على الوف الميتات من اجل المسيح لا نكون قد وفينا ما علينا، لأن دم الاله ليس كدم العبيد، أعنى من حيث الكرامة لا من حيث الكنه.

القديس يوحنا السلّمي

+ العبادة المسيحية

مميزات الليتورجيا (تابع)

+ الصفة الجماعية:

العبادة في الكنيسة الأرثوذكسية جماعية وشعبية. وهي شركة المؤمنين المجتمعين حول الرب. عندما يذهب الأرثوذكسي الى الكنيسة للصلاة فهو يذهب للمشاركة في الصلاة

وليس لحضور الخدمة الإلهية او سماع الصلاة. هناك ينصهر الجميع، شعب وكهنة، في اتحاد واحد.

لقد وعت الكنيسة دوماً ان الليتورجيا عمل مشترك يقوم به الكاهن والشعب معاً. فلا يأتي المؤمنون الى الكنيسة لإداء صلواتهم الخاصة، بل للمشاركة في الصلاة الليتورجية العامة والمساهمة في العمل الطقسي، ولا يقيم الكاهن الخدم الإلهية والقداس الإلهي باسمه ام من اجل العلمانيين فقط بل يقيمه والعلمانيون معاً. لذلك نلاحظ ان الصلوات والطلبات في القداس الإلهي هي بصيغة الجمع المتكلّم، نحن، وليس بصيغة المفرد المتكلم. فعندما يتلو الشماس او الكاهن الطلبات يقول ''الى الرب نطلب''. وفي الجزء الأهم من القداس الإلهي، اي عند طلب استدعاء الروح القدس على القرابين المقدسة لتستحيل الى جسد الرب ودمه الكريمين، يقول الكاهن: ''ايضاً **نقرب** لك هذه العبادة الناطقة غير الدموية **ونطلب ونتضرع ونسأل** فأرسل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة، واجعل اما هذا الخبز فجسد مسيحك المكَّرم,...'' ويجيب الشعب: ''آمين. الكاهن إذاً يتكلّم باسمه واسم الشعب ويرفع الدعاء باسم الجميع. فيجيب الشعب ''آمين'' أي حقاً ليكن. هذا مع تأكيدنا ان نعمة تقديم العبادة المشتركة او المتكلّم باسم الجميع قد أُعطيت للكاهن وحده، ولكن الكاهن وحده لا يستطيع ان يقيم القداس بدون الشعب.

إستعمال صيغة الجمع المتكلّم دلالة على وحدة الكنيسة المجتمعة، الشركة المسيحية عير المنقسمة القائمة بين جميع الذين يصلّون دلالة على انهم جميعاً يصلّون ''بنفس واحدة'' (اعمال (٢: ٤٦).

انطلاقاً من هذه الصفة الجماعية للعبادة يصبح الكلام على عدم وجود صلوات سرية كلاماً طبيعياً. هي صلوات اسرارية وليست سرية، على الشعب ان يسمعها ليتقدس، وإلا كيف نطلب من الشعب ان يجيب على صلاة بـ ''آمين'' دون ان يسمعها. وهكذا فإن تلاوة الأفاشين والصلوات والكلام الجوهري يجب ان تكون مسموعة من الشعب لكي يكون الشعب فعلاً مشتركاً في الخدمة الإلهية ولكي تكون الـ ''آمين'' هي فعلاً تعبير عن ايمان هذا الشعب. هدف هذه الأفاشين الطويلة ان توحّد نظرة الجماعة الكنسية المجتمعة الى الإله الذي يعبدون فيعترفون بعزم واحد وفكر واحد ''بآب وإبن وروح قدس، ثالوث متساوٍ في الجوهر وغير منفصل''. تتوحد نظرتهم الى هذا الإله فيقفون كلهم وكأنهم واحد امام الله يعبدونه.

أخيراً، من مميزات الليتورجيا الأرثوذكسية انها تقام باللغة التي ينطق بها الشعب. ليس هناك في العالم الأرثوذكسي لغة ليتورجية رسمية او عالمية. من أجل تأمين الإشتراك الأكمل والأفضل للشعب يجب ان تقام الخدمة باللغة التي يفهمها هذا الشعب. الليتورجيا هي

عمل الشعب وهدفها ان ترفعه الى العلاء. لذلك يستعمل الأرثوذكسيون في عبادتهم لغة البلد الذي يعيشون فيه. المهم ان يصل المسيح الى كل مؤمن وان يستطيع هذا المؤمن ان يحاكي ربه ويبقى في تواصل دائم معه.

تـــــأمل

إن الفرّيسي لما مدح نفسه صار اردأ من العشّار لأن اعماله العظيمة لم تأته بمنفعة ، وهذه حماقة منه لأنه لم يستأصل الكبرياء التي هي اصل كل خطيئة وبها هدم كل شيء.

فإذا اردنا ان نظهر اعمال البّر المعظّمة، لا يجوز لنا ان نتكبر لأنه بالتواضع تتـــبرر الأعمال. لا يجوز لنا ان نفكر بأننا إذا فعلنا شيئاً ما نكون قد اتممنا الواجب كله. وإذ كـــان التواضع يجعل الخاطىء باراًّ (مع ان هذا ليس تواضعا بل اعترافاً حقاً) فماذا يصنع التواضع في الأبرار؟ لذلك لا نضيّع اتعابنا ولا نحرم انفسنا الجائزة! إن الله تعالى يعلم خدمتنا اكـــثر منا بكثير. إذا اعطينا كأس ماء فقط فإنه لا يزدري عطاءنا، وان تنهّدنا يقبل تنهّدنا كحســـنة يذكرها، ويخصّنا بجائزة عظيمة لأجلها. فلماذا إذاً نفكر بأعمالنا الصالحة، ونبذل جهدنا لكي نظهرها للملأ. الا نعلم اننا اذا مدحنا أنفسنا لا يمتدحنا الله تعالى، وان حقّرنا ذواتنا فإنه تعالى يمجّد اعمالنا امام الجميع. ان العليّ لا يبخسنا جائزة اتعابنا بل يمنحنا اكليل المجـــد علـــى اشياء طفيفة ويمهّد لنا الأسباب حتى ينجّينا من عذاب جهنم. لذلك، إن تعبنـــا مـــن الســـاعة الحادية عشرة من النهار، فأبونا السماوي يعطينا الأجرة كاملة، وان ذرفنا دموعاً فالله تعـــالى يقبل دموعنا ليهيدنا الى الخلاص الأبدي. فلا ننسى ما فعلنا من اعمال البرّ لأجل هذا.

...فالذي يباهي باعماله كمن يضع جواهره في السوق جهاراً. وبـــهذا يجلـــب نظـــر الأشرار اليها. لكن، إذ جمعها وخبّاها في بيته يحفظها من دون خوف عليـــها. وهكـــذا، اذا بقينا نردّد في ذاكرتنا اعمالنا الصالحة، نجلب غضب الله علينا، ونجعلها سلاحاً في يديّ عدونا القديم ، ونثيره عليها حتى يختلسها. اما إذا لم يرها أحد، سوى من يجب ان يعلمها، فتبقـــى محفوظة بعيدة عن المخاطر. فلا تفاخرن بأعمال البرّ كي لا تُسلَب من ولا يحصل معنا كما حصل مع الفرّيسيّ الذي ردّد اعماله الصالحة مع الشكر مقدّماً إياها الى الله تعالى، فلم يستفد شيئاً ، لأنه، هل يليق بمن يشكر الله ان يهين الآخرين متكبّراً على الخطأة؟ إذاً لنكتفِ بشكر الله ولا نذكره امام الناس مع دينونة القريب لأن هذا العمل لا يكون شكراً.

إذا أردنا ان نعبّر عن شكرنا لله فلنستمع قول الثلاثة الفتية الابرار: ''لأنك عادل في جميع ما صنعت بنا وقد خطئنا وأثمنا وجميع ما جلبت علينا صنعته بحكم حق'' (دانيـــال ٣: ٢٧ – ٣١). فالحق ان الإعتراف بالخطايا هو الشكر لله الضابط الكل. فلنحترس لأن هـــذا

يسبّب لنا العداوة بين البشر والمقت من الله تعالى. كلما زادت اعمالنا الصالحة فلنقصر في التحدّث عن نفوسنا. وهكذا نتمكن من الحصول على مجد عظيم عند الله والناس، والأصح ان يُقال: ليس المجد عند العليّ فحسب بل جائزة العطاء العظيم. فإذا اردنا ان تكون اعمالنا عظيمة، فيجب الا نعظمها حتى تكون عظيمة. هذا ما قاله قائد المئة في الإنجيل الشريف: ''يا رب لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي'' (متى ٨: ٨) وبهذا القول استحق الإعجاب اكثر من كل يهودي. وقال ايضاً رسول المسيح: ''ولست أهلاً أُدعى رسولاً'' (١ كو ١٥: ٩) وبهذا صار اول الرسل واعلاهم. وهكذا قال معمّد المسيح: ''وانا لا استحق ان أحِلّ سيور حذائه'' (لوقا ٣: ١٦) فصار خليلاً للمسيح الختن. لا شيء أحبّ الى الله كالذي يحسب نفسه مع الخطأة والأثمة. اذا صفا الماء ظهرت فيه اصغر الأقذار، كما ان اشعة الشمس ترينا ذرات الغبار الصغيرة المتطايرة في الهواء التي لم ترها العين قبل دخول الأشعة المذكورة.

هكذا النفس البشرية كلما ازدادت نقاوتها نفذ اليها نور الملكوت السماوي فظهرت القذارة وعدم الكمال والعادات الذميمة فيها.

ان التواضع زاد مجد المسيح ولم ينقص منه شيئاً البتة، لذلك يبشّرنا المخلص بقوله: ''احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم'' (متى ١١: ٢٩) لذلك حتى نجد هذه الراحة على الأرض وفي السماوات ايضاً فلنوطّد في نفوسنا فضيلة التواضع التي هي أم الخيرات كلها.

القديس يوحنا الذهبي الفم